

الحلقة الثامنة

من كتابات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

هناك مناسبات عديدة قد يفرح فيها الإنسان. فعندما يولد طفل جديد تفرح العائلة بمولده، وعندما يتزوج الإنسان يفرح، ويفرح معه كل أهله وأقربائه وأصدقائه. وعندما يحصل الطالب على الشهادة يفرح. وأيضاً عندما يربح الإنسان في عمله، أو يزداد معاشه يفرح. وهناك غيرها من الأمثلة. لكن كل أنواع هذه الأفراح محدودة بأسبابها، إذ عندما تنتهي هذه الأسباب يفقد الإنسان فرحه ويعود إلى وضعه السابق. فهذا النوع من الفرح له أسباب خارجية، ولا يتمتع بالاستمرارية، لأن لا أساس له في داخل الإنسان. فهل بإمكان المرء يا ترى أن يحصل على الفرح الدائم بالرغم من الظروف المحيطة؟

هذا ما سنتحدث به في لقاء اليوم مستمعي. وسنبين أن الفرح ممكن وسط عالم مليء بالمآسي والكوارث. قد تتساءل وهل هذا معقول؟ وللجواب نقول: كتب الرسول بطرس من رسل المسيحية الأوائل في رسالته إلى المؤمنين الذين كانوا يجتازون اضطهاداً شديداً قائلاً:

«الَّذِي بِهِ تَبْتَهْجُونَ، مَعَ أَنَّكُمْ الْآنَ إِنْ كَانَ يَجِبُ تُحْرَضُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبٍ مُتَنَوِّعَةٍ... الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ نُحِبُّونَهُ. ذَلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرَوْنَهُ الْآنَ لَكِنْ تَوْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهْجُونَ بِفَرْحٍ لَا يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ، نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلَاصِ النُّفُوسِ» (بطرس ١: ٦، ٨-٩).

سنأمل الآن بما دوّنه الرسول بطرس فابقوا معنا أعزاءي.

تحدث الرسول بطرس إلى المؤمنين المسيحيين الأوائل مشجعاً إياهم أنه بالرغم من كل الاضطهادات المؤلمة التي يواجهونها فهم يبتهجون بالمسيح. وأنهم بالرغم من عدم رؤيتهم للمخلص المسيح فهم يحبونه، ويؤمنون به. وليس هذا فحسب بل إن ابتهاجهم بالمسيح مليء بالفرح العجيب الذي يفوق الوصف. وهو ما قصده الرسول بطرس عندما قال: «بفرح لا يُنطق به ومجيد». وتابع

الرسول بطرس كلامه قائلاً: «نَائِلِينَ غَايَةَ إِيْمَانِكُمْ خَلَاصَ النَّفُوسِ». وفي ترجمة أخرى: «إِذْ بَلِغْتُمْ هَدَفَ إِيْمَانِكُمْ، وَهُوَ خَلَاصَ نَفُوسِكُمْ». أي أنكم قد حققتم غاية إيمانكم وهو خلاص نفوسكم. وهذا يبرهن أن خلاصهم هو أكيد.

لعلّ السؤال الآن هو: كيف تملأ البهجة المؤمن بالمسيح بالرغم من الآلام والتجارب الصعبة؟ وكيف يسود الفرح الفائق الوصف قلبه من الداخل وسط الاضطهاد الشديد؟ وللإجابة نقول: إن هذه البهجة وهذا الفرح مصدرهما الله نفسه، بواسطة روحه القدوس الذي يحل في الإنسان عندما يؤمن بالمسيح. ولهذا إن هذه البهجة وهذا الفرح يملآن قلب المؤمن باستمرار، ولا علاقة لهما بالظروف التي يمر بها. فهما ينبعان من داخله ولا يتأثران بالأسباب المحيطة به. لا بل على العكس إن هذه البهجة وهذا الفرح المجيد يشددانه لكي يواجه المحن، ويعزيانه وسط الاضطهاد والتجارب القاسية.

لقد كانت هذه البهجة وهذا الفرح ملازمين للمؤمنين بالمسيح في كل العصور. وكانا السبب الرئيس في انتشار الكنيسة وامتدادها في كل البلدان. إذ عادة ما يستغرب الناس عندما يرون المؤمنين بالمسيح وهم مبتهجين وفرحين وسط الآلام والشدائد، فيقبلون إلى الإيمان لكي يحصلوا هم أيضاً على ما يتمتعون به.

إن الكتاب المقدس كلمة الله الحيّة مليئة بالآيات التي تتحدث عن الفرح الغامر الذي يملأ قلوب المؤمنين بالمسيح. وهي أيضاً مليئة بالآيات التي تحت المؤمنين على الفرح حتى في وسط الضيق. لا بل كان الفرح من ثمار الروح القدس الذي يملأ قلوب المؤمنين، كما كتب الرسول بولس.

عندما رجع السبعين تلميذاً الذين أرسلهم المسيح لكي يكرزوا ببشارة ملكوت الله، فرحين لأن الشياطين تخضع لهم باسم المسيح، قال لهم المخلص المسيح: «وَلَكِنْ لَا تَفْرَحُوا بِهَذَا: أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ» (بشارة لوقا ١٠: ٢٠). إن مجرد أن يعرف الإنسان الخاطيء أن اسمه قد كُتب في سفر الحياة في السموات، أي أن له حياة أبدية، لا بد أن يفرح هذا الفرح الفائق الوصف الذي كتب عنه الرسول بطرس، أي الفرح الذي لا يُنطق به ومجيد. وهذا الفرح مستمر ودائم لأن مصدره الروح القدس كما ذكرنا.

هل تعلم مستمعي أنه بمجرد إيمان الشخص بالمخلص المسيح يغمر الله قلبه بهذا الفرح العجيب الذي لا يُنطق به ومجيد؟ يخبرنا سفر أعمال الرسل في العهد الجديد من الكتاب المقدس، عمّا حصل عندما بشر تلميذ المسيح فيلبس خصي وزير لكنداكة ملكة الحبشة وهو عائد من أورشليم إلى بلاده. وكان هذا الوزير يقرأ من سفر النبي إشعياء عن النبوءة التي تتحدث عن آلام المسيح وصلبه وموته من أجل ذنوب البشر. وعندما سأل الوزير فيلبس عن مَنْ يقول النبي هذا. عن نفسه أم عن واحد آخر؟ أخذ فيلبس يبشره عن المخلص المسيح، مبتدأً من سفر النبي إشعياء.

وكان أن آمن هذا الوزير الخصي بالمسيح أنه هو المخلص الذي أرسله الله، ثم اعتمد بالماء. أي تعمد بالماء حسب وصية المسيح لتلاميذه. ودوّنت لنا كلمة الله عندها: أن وزير الحبشة هذا ذهب في طريقه فرحاً. (أعمال الرسل ٨: ٢٦-٤٠) والسبب لأنه اختبر خلاص الله العجيب، فغمر الله قلبه بالفرح والسرور.

وقد قال المخلص المسيح في أحد أمثاله عن ملكوت السموات ما يلي: «أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفَى فِي حَقْلٍ، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذَلِكَ الْحَقْلَ» (بشارة متى ١٣: ١٤). إن الحصول على خلاص الله أو الدخول في ملكوته هو كامتلاك كنز عظيم، يفرح الإنسان ويجعله يضحى بكل شيء من أجله.

ألا تود مستمعي أن تتال هذا الفرح المجيد الفائق الوصف؟ أو لا تود أن يغمرك فرح الله وسلامه الدائم حتى في وسط الآلام والمحن؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي قدّم نفسه كفارة من أجل خطاياك؟ وهكذا تحظى بهذا الفرح العجيب، ويسود سلام الله قلبك من الداخل، وتُغفر خطاياك وتتال الحياة الأبدية!